عبد الحميد كشك

جدِّ السَّفِينَةَ

فإنَّ البَحْرَ عَمِيقٌ

المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الحكم العدل الذى يقول فى كتابه « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » .

وبعد :

فهذا كتاب اقتضت الحاجة أن نسجل كلماته عما ينتظرنا بعد الموت من مواقف فى يوم يجعل الولدان شيبا

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ

إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ

هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ

وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم

مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟

أَنفُسِهِمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ
الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ
وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ
مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾
يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ
فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ
النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا
أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

صدق الله العظيم

فى جو هذه الآيات يدور موضوع هذا الكتاب وفى يوم يقول الله عنه (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا) فياله من يوم ما أطوله وياله من خطب ما أهوله وياله من جبار ما أعدله ! !

المؤلف

بين يدى الساعة

« اقتربت الساعة وانشق القمر »

كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم . إيذاناً بقرب الساعة لأنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده . وأمته آخر الأمم ومن هنا يأتى مصداق ذلك فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : «بعثت أنا والساعة كهاتين » ، مشيراً بإصبعيه ثم يؤكد قربها ببعثته فيقول : « إن كادت لتسبقنى إن بلغ من قربها ببعثة النبى صلى الله عليه وسلم أنها كادت تسبق البعثة وفى القرآن الكريم ما يذكرنا بأهوال الساعة حتى نتزود لها قال سبحانه: « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد » .

ويبين فى سورة أخرى ما لهذه الزلزلة من أهوال وما ينتاب الإنسان من حيرة ودهشة فيقول عز من قائل : « إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها ، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

يقول الإمام الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى تعقيباً على هذه

السورة « إذا زلزلت الأرض زلزالها » هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوف الله تبارك وتعالى بها عباده ويذكرهم فيها تزلزل الأرض وقيام الساعة لينتهوا عما نهاهم عنه من العصيان ويمتثلوا ما أمرهم به من الطاعة والإيمان ، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها .

قال الله سبحانه وبحمده « إذا زلزلت الأرض زلزالها » يقول : إذا تحركت الأرض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجت من مشرقها ومغربها ، فلا تزال كذلك حتى يكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل فى بطنها جميع ما خرج منها ، وزلزلتها من شدة صوت إسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان الدنيا — أى مدتها . والحين الوقت — وساعاتها وشهورها وأوقاتها وأعوامها وأيامها وحلالها وحرامها . وذلك إذا خمد الحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم وترك الجهاد وظهر الفساد . وفشا الربا وكثر اللواطة والزنا وركبوا الفواحش والفجور واستعانوا على ذلك كله بشرب الخمور وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم وقرىء القرآن فلم يعمل به واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب وتزين الفساق بالمعاصى والذنوب ، فإذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله : يا إسرافيل انفخ نفخة الصعق فينفخ إسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الأرض من مشرقها إلى مغربها وذلك من غضبة يغضبها الجبار على المنافقين والفجار .

وبين يدى الساعة نفخات ثلاث ، نفخة الفزع وفيها يقول مولانا تبارك اسمه : « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات ومن فى الأرض إلامن شاء الله وكل أتوه داخرين » . ونفخة الصعقة وفيها يقول مولانا جل جلاله : « ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله » . ونفخة البعث وفيها يقول مولانا تبارك اسمه : « ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » ويفصل العلماء هذا الموقف تفصيلا تنخلع له القلوب وتنفطر من هوله الأفئدة وإليك ما ذكره أجلة العلماء فى هذا المقام .

قال حذيفة : كان الناس يسألون النبى صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافة أن يصيبنى ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « فى آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم فإذا غضب الله تعالى على أهل الأرض أمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فى الناس من هو فى وطنه ومنهم من هو فى سوقه ومنهم من هو فى حرفه ومنهم من هو فى سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى يخمد ويصعق ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتى يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم » .

وإسرافيل لا يقطع الصيحة حتى تغور عيون الأرض وأنهارها ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها ويدخل الكل بعضه فى بعض فى بطن الأرض والناس خمود صرعى فمنهم من هو صريع على وجهه ومنهم من هو صريع على ظهره وعلى جنبه وعلى خده ومنهم من يكون اللقمة فى فيه فيموت

وما أدرك أن يبتلعها وتنقطع السلاسل التى فيها قناديل النجوم فتستوى بالأرض من شدة الزلزلة وتموت ملائكة السبع سماوات والحجب والسرادقات والصادقون والمسبحون وحملة العرش والكرسى وأهل سرادقات المجد والكروبيون . وهم طائفة من الملائكة سموا كذلك لشدة حزنهم وطول عبادتهم وهم كالأولياء فى الناس ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام .

كيف يموت جبريل

يقول الجبارجل جلاله : يامك الموت من بقى ؟ وهو أعلم . فيقول ملك الموت سيدى ومولاى أنت أعلم بقى إسرافيل وبقى جبريل وبقى ميكائيل وبقى عبدك الضعيف ملك الموت خاضعاً ذليلا قد ذهلت نفسه لعظيم ما عايش من الأهوال فيقول له الجبار تبارك وتعالى : انطلق إلى جبريل فاقبض روحه فينطاق ملك الموت إلى جبريل عليه السلام . فيجده ساجداً وراكعاً فيقول له ما أغفلك عما يراد بك يامسكين فقد مات بنو آدم وأهل الدنيا والأرض والطير والسباع والهوام وسكان السماوات وحملة العرش والكرسى والسرادقات وسكان سدرة المنتهى ، وقد أمرنى المولى بقبض روحك ! فعند ذلك يبكى جبريل عليه السلام ويقول متضرعاً إلى الله تعالى : يا ألله هون على سكرات الموت . فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعاً فيقول الجبار جل جلاله من بقى يا ملك الموت وهو أعلم . فيقول مولاى وسيدى بقى ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت .

كيف يموت ميكائيل

يقول الجبار جل جلاله : انطلق إلى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت إلى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيله على السحاب فيقول له : ما أغفلك يامسكين عما يراد بك ! مابقى لبنى آدم رزق ولا للأنعام ولا للوحوش ولا للهوام قد مات أهل السماوات وأهل الأرضين، وأهل الحجب ، والسرادقات وحملة العرش ، والكرسى وسرادقات المجد والكروبيون والصادقون والمسبحون وقد أمرنى ربى بقبض روحك ؟ فعند ذلك يبكى ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض فيها روحه فيخر صريعاً ميتاً لاروح فيه فيقول الجبار جل جلاله من بقى ؟ وهو أعلم يامك الموت فيقول : مولاى وسيدى أنت أعلم بقى إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت .

كيف يموت اسرافيل .

يقول الجبار تبارك وتعالى : انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه فينطلق كما أمره الجبار إلى إسرافيل فيقول له : ما أغفلك يامسكين عما يراد بك ؟ قد مات الخلائق كلهم ومابقى أحد وقد أمرنى ربى ومولاى أن أقبض روحك فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد بالموت سبحان من تفرد بالبقاء ثم يقول : مولاى هون على مرارة الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر ميتاً صريعاً . فلو كان أهل السماوات فى السماوات وأهل الأرض فى الأرض لماتوا كلهم من شدة رجة وقعته .

كيف يموت ملك الموت

يقول الجبار تبارك وتعالى : من بقى ياملك الموت ؟ وهو أعلم فيقول : مولاى وسيدى أنت أعلم بمن بقى، بقى عبدك الضعيف ملك الموت. فيقول الجبار : وعزتى وجلالى لأذيقنك ما أذقت عبادى انطلق بين الجنة والنار ومت فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق ، لماتوا عن آخرهم من شدة صيحته ، فيموت . فتبقى السماوات خالية من أملاكها ساكنة أفلاكها ، وتبقى الأرض خاوية من إنسها وجنها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها ويبقى الملك لله الواحد القهار الذى خلق الليل والنهار فلا ترى أنيساً ولا تحس حسيساً قد سكنت الحركات ، وخمدت الأصوات ، وخلت من سكانها الأرضون والسماوات .

لمن الملك اليـــوم ؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالى إلى الدنيا فيقول : يادنيا أين أنهارك ؟ وأين أشجارك ؟ وأين سكانك ؟ وأين عمارك ؟ وأين الملوك وأبناء الملوك ؟ وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة ؟ أين الذين أكلوا رزقى وتقلبوا فى نعمتى وعبدوا غيرى ؟ لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد فيقول تعالى : الملك لله الواحد القهار ، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بال فى قبره ثم يقول يادنيا أين أنهارك وأين أشجارك وأين سكانك وأين عمارك ؟ وأين الملوك وأين الجبابرة؟ لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول تعالى : لله الواحد القهار فتبقى الأرضون والسماوات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ماشاء الله من ذلك وقد قيل تبقى أربعين يوماً وهو مقدار مابين النفختين .

في الفتن والملاحم وأشراط الساعة

قبل الحديث عن النفخة الثانية وما يعقبها من بعث الأجساد بود أن نسجل هنا ما سيحدث على هذه الأرض بين يدى الساعة وقبل فناء الخلائق حتى يتزود للتقوى من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

وفى هذا الفصل نتحدث عن الفتن التى تموج موج البحر ومايعقبها من أشراط الساعة وأماراتها فإن الفتن تعرض على القلوب كما تعرض الحصير عوداً عوداً فأيما قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء وأيما قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء حتى تكون القلوب على قلبين . على أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض وعلى أسود مرباداً مثل الكوز مدخياً ومعنى مرباداً أى لامع السواد لا يثبت عليه شىء من الكتابة ومعنى مدخياً أى مائلا منكساً أى يفرغ من الإيمان كما يفرغ الماء من الكوز إذا نكس وهذا القلب لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه ومن ثم فقد كان من دعوات النبى صلى الله عليه وسلم المأثورة « اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة ، فأقبضنا إليك غير فاتنين » .

نسأل الله أن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وقد جاء فى كتاب مختصر تذكرة القرطبى حديث جامع يتعلق بموضوعنا هذا ، نورد منه هذه الكلمات التى نسأل الله أن ينفع بها .

إعلم يا أخا الإسلام ، أنه لاعاصم اليوم من أمر الله إلامن رحم والعاصم من الفتن هو التمسك بقول لا إله إلا الله .

روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا قالوا ذلك . عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى» . ومن ثم فإن الإسلام أقام الحرمة على مال المسلم ودمه وعرضه .

روى ابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا وإن أحرم البلاد بلدكم هذا وإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا وإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت قالوا نعم يا رسول الله فقال : اللهم اشهد » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طاف بالكعبة : « ما أطيبك وأطيب رائحتك وأعظم حرمتك ولكن والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن : أعظم عند الله منك ماله ودمه وأن لايظن به إلا خيراً » .

وفى حديث مسلم أيضاً « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله» .

وفى حديث النسائى « إن قتل المؤمن ، أعظم عند الله من زوال الدنيا » .

وفى حديث الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أشار على أخيه بحديدة ، لعنته الملائكة » .

وفى القرآن الكريم « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما » .

وروى أبونعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذى نفسى بيده ما عمل على وجه الأرض عمل أعظم عند الله بعد الشرك من سفك دم حرام . والذى نفسى بيده إن الأرض لتضج إلى الله تعالى من ذلك ضجيجاً . أو قال عجيجاً ، تستأذن فيمن عمل ذلك على ظهرها ، أن تنخسف به » .

وفى حديث أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو مؤمناً قتل مؤمناً متعمداً » .

وفى الحديث «لايزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً».

وفى رواية «لايزال المؤمن متقياً صالحاً ما لم يصب دماً حراماً فإذا أصاب دماً حراماً بأج » أى انقطع ودخل النار . قاله الهروى .

وفى الحديث أيضاً « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله يوم القيامة مكتوباً على جبهته آيس من رحمة الله » .

قال شقيق رضى الله عنه : وشطر الكلمة هو أن يقول فى (أقتل) (أق) فقط دون التاء واللام والله أعلم .

وإنما أوردنا هذه الأحاديث على كثرتها لأن القتل وانتشاره يعتبر من الفتن الكبرى وهو علامة وأمارة على فساد الناس وقرب الساعة وقد عبر عنه الحديث الشريف بكثرة الهرج وأى القتل حتى لايدرى القاتل لما قتل ، ولا يدرى المقتول لما قتل ، وهذه فتنة نسأل الله النجاة منها

قال تعالى « واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » .

ولتعلم أيها المسلم أنه إذا ما فسد العباد نزلت الفتن كمواقع القطر والظلل وللعبادة فضلها العظيم وأثرها الطيب عند نزول الفتن .

روى الإمام مسلم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتقوم الساعة حتى تكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا » .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فزعاً محمراً وجهه يقول : لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتى تليها فقالت : عائشة أنهلك وفينا الصالحون قال : نعم إذا كثر الخبث » .

وفى الحديث عن أسامة أن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف على أطم من أطام المدينة ثم قال : هل ترون ما أرى إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر » أى المطر . رواه وما قبله البخارى .

وروى البيهقى أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم هل للإسلام من منتهى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيما أهل بيت من العرب والعجم ، أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام ، فقال الرجل : ثم ماذا يارسول الله ، قال : ثم وقوع الفتن كالظلل ، فقال الرجل : كلا والله إن شاء الله . قال : بلى والذى نفسى بيده لتعودن فيها أساود صباً يضرب بعضكم رقاب بعض أى لتعودن يعلو بعضكم ويرتفع إذا أراد أن يؤذى أخاه المسلم لأن الأساود جمع أسود وهى الحية السوداء إذا أرادت أن تنهش ارتفعت ثم انتصبت وانخفضت .

قاله الأزهرى

وروى مسلم عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت: «استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فزعاً يقول: سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجر يريد أزواجه لكى يصلين رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فقال : يا أصحاب الحجرات سعرت النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً .

وهنا حيث الفتن مدلهمة ينصح الرسول الصالحين بكثرة العبادات، من صلاة وصيام وحج وعمرة وقيام وقراءة للقرآن وكثرة الأذكار فيقول صلى الله عليه وسلم : « العبادة فى الهرج كالهجرة إلى » وأما قول عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم

إذا كثر الخبث والمقصود بالخبث هنا الفاحشة التى تتعلق بهتك الأعراض إنما يكون ذلك الهلاك إذا كان هناك صالحون لاينكرون المنكر بل وقفوا موقف الصمت فعندئذ يكثر المفسدون ويقل الصالحون فيعمهم الهلاك هذا لإفساده وذاك لسكوته ، قال سبحانه وتعالى : « فلولا كان من القرون من قبلكم ، أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ، إلا قليلا ممن أنجينا منهم »

وقال جل شأنه « وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن الفساد فى الأرض وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ».

ألم تعلم أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

روى أن الله تعالى أمر ملكاً من الملائكة أن يخسف بقرية فقال يارب أن فيها فلاناً العابد فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ فإنه لم يتغير وجهه حين انتهكت محارمى .

وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا عمل بالخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها وكرهها كمن غاب عنها . ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها » .

وفى حديث الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » .

وكان الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه يقول : « إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد فى الأرض » وكان يقول : إن لزوم الجماعة نجاة وإن قليل الباطل وكثيره هلكة . وكان يقول ينبغى للناس أن يغضبوا لأمر الله إذا انتهكت فرائضه وحرمه وخالف الناس ما أتت به الكتب والأنبياء وكان يقول : لاتنبغى الإقامة بأرض يكون العمل فيها بغير السنة وما كان عليه السلف وكان يقول هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والرضا بأقل القوت .

وفى هذا المقام يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خذوا العطاء مادام عطاء فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه ولستم بتاركيه بل تمنعكم من ذلك الحاجة والفقر إلا أن رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب إلا أنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم مالا يقضون لكم . إن أطعتموهم أضلوكم وإن عصيتموهم قتلوكم قالوا : وكيف نصنع يارسول الله قال كما صنع بأصحاب عيسى نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب . فوالذى نفسى بيده لموتة فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله » .

حذيفة يسأل والرسول صلى الله عليه وسلم يجيب :

روى أبو داود عن حذيفة رضى الله عنه قال : « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت له يوماً : يا رسول الله أبعد هذا الخير من شر ؟

فقال يا حذيفة: تعلم كتاب الله واتبع مافيه قالها ثلاث مرات ، قال ثم قلت: يارسول الله أبعد هذا الخير من شر فقال ياحذيفة : تعلم كتاب الله واتبع ما فيه قالها ثلاثاً فقلت يا رسول الله : أبعد هذا الخير من شر ، فقال : فتنة وشر ؛ فقلت يارسول الله : فبعد هذا الشر خير فقال : يا حذيفة تعلم كتاب الله واتبع ما فيه . فلا بد من وقوع فتن لا ترجع قلوب أهلها إلى ما كانت عليه قبل ذلك » .

وفى رواية « فقلت يارسول الله أبعد هذا الخير شر قال فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فإن مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم » . والجذل أصل الشجر .

ومن الفتن التى تموج موج البحر قتال المسلمين بعضهم بعضاً ولقد أوعد الله تعالى القاتل والمقتول فى النار .

روى مسلم رضى الله عنه : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار . قال : فقلت أو قال فقيل : يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول . قال : إنه أراد قتل صاحبه » .

وفى رواية « إنه كان حريصاً على قتل صاحبه » .

ومن الفتن الكبرى كثرة الهرج . روى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لاتذهب الدنيا حتى يأتى على الناس يوم لا يدرى القاتل فيم قتل ولا المقتول فيما قتل ، فقيل : كيف يكون ذلك قال الهرج القاتل والمقتول فى النار » .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « سيكون بين أصحابى فتنة يغفر الله لهم بصحبتهم إياى ، ثم يستن بها قوم من بعدهم ، فيدخلون النار بسببها » .

وروى ابن ماجه عن أبى موسى الأشعرى قال : « حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بين يدى الساعة لهرجاً فقلت : يا رسول الله ماالهرج قال القتل القتل فقال بعض المسلمين يا رسول الله إنا نقتل الآن فى العام الواحد من المشركين كذا وكذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بقتل المشركين ولكن يقتل بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته » .

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يسأل وحذيفة بن اليمان يجيب

روى الشيخان وابن ماجة عن حذيفة قال كنا جلوساً عند عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فقال : أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة ؟ قال حذيفة أنا ، فقال إنك لجرىء وكيف قال ؟ قلت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره ، تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

فقال عمر : ليس هذا أريد . إنما أريد به الفتنة التى تموج كموج البحر قال فقلت : مالك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال : أفيكسر الباب أم يفتح ؟ قال : قلت لابل يكسر . قال ذلك أجدر أن لايغلق

أبداً . قال شقيق لحذيفة : أكان عمر يعلم من الباب ؟ فقال نعم كما يعلم أن دون غد الليلة إنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط . قال فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب ؟ فقلنا لمسروق سله فسأله فقال : هو عمر .

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب أن عمر بن الخطاب دخل على ابنته فوجدها تبكى فقال : مايبكيك ؟ فقالت: هذا اليهودى لكعب الأحبار يقول إنك باب من أبواب جهنم ، فقال عمر : ماشاء الله إنى لأرجو أن يكون الله قد خلقنى سعيداً . قال : ثم خرج فأرسل إلى كعب فلما جاءه كعب قال : يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده لاينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة ، فقال عمر أى شىء هذا مرة فى الجنة ومرة فى النار ؟ فقال : والذى نفسى بيده إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة .

وروى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « هلاك أمتى على يدى أغيلمة من قريش » فقال مروان قال أبو هريرة لوشئت أن أقول بنى فلان وبنى فلان لفعلت قال عمرو ابن يحيى بن سعيد فكنت أخرج مع جدى إلى بنى مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم ؟ قلنا أنت أعلم . قال الإمام القرطبى وكان من هؤلاء الأغيلمة والله أعلم يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومن ينزل منزلتهم من أحداث ملوك بنى أمية فقد صدر عنهم مالا يخفى من الفساد وقتل أهل بيت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وسبيهم وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكة وغير خاف ما صدر من الحجاج وعبد الملك بن مروان وولده من سفك الدماء وإتلاف الأموال وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغيرهما وقد حصروا من قتلهم الحجاج فوجدوا مائة وعشرين ألف نفس .

وبالجملة فقد قابل بنو أمية وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل بيته بالمخالفة والعقوق فسفكوا دماءهم وأخذوا أموالهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخربوا ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا لعنهم وسبهم فخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصيته وقابلوه بنقيض قصده وأمنيته فواخجلهم إذا وقفوا بين يديه يوم القيامة يطلبون منه الشفاعة ويافضيحتهم يوم يعرضون عليه فى ذلك اليوم العظيم. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

واعلم يا أخا الإسلام أن وقع اللسان فى الفتن أشد من وقع الحسام بهذا نطقت الأحاديث الشريفة .

قال صلى الله عليه وسلم : «ستكون فتنة عمياء صماء بكماء من أشرف لها استشرفت له وإشراف اللسان فيها كوقع السيف وفى رواية لابن ماجة « إياكم والفتن فإن اللسان فيها مثل وقع السيف » .

وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقى إليها بالا » وفى رواية « مايتبين فيها يهوى بها فى النار أبعد مابين المشرق والمغرب » وفى رواية «يهوى بها

فى النار سبعين خريفاً» وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم «ويل للذى يتكلم الكلمة من الكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إياكم والفتن فإن اللسان فيها مثل وقع السيف » أى من حيث الكذب عند أهل الجور ونقل أخبار الناس إليهم فربما نشأ من ذلك النهب والقتل والجلاء والمفاسد العظيمة أكثر من وقوع الفتنة نفسها . نسأل الله من فضله أن يحفظنا من الوقوع فيما يسخط ربنا من غيبة أو نميمة أو بهتان أو فحش . إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين .

وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم عن زمان يأتى على أمته القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وقد أوصى فيه بالصبر فقد روى الترمذى رضى الله عنه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتى على الناس زمان الصابر فيه على دينه كالقابض على الجمر » .

هل يجوز أن يدعو الانسان على نفسه بالموت عند ظهور الفتن خشية الوقوع فيها وبماذا يدعو

روى الإمام مالك رحمه الله تعالى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه: « اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون » .

قال مالك وكان أبو هريرة إذا لقى الرجل يقول له : مت أن استطعت فيقول له فلم ؟ فيقول : تموت وأنت تدرى علام تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدرى علام تموت عليه . قال مالك : والذى أراه أن عمر بن الخطاب ما كان يطلب الشهادة إلا خوفاً من التحويل إلى التغيير والفتن .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويل للعرب من شر قد اقترب موتوا إن استطعتم » .

قال الإمام القرطبى رحمه الله . وهذا غاية فى التحذير من الفتن والخوض فيها حيث جعل الموت خيراً من مباشرتها » .

وفى حديث الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

وفى البخارى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى كنت مكانه » .

وكان عبد الله بن مسعود يقول ليأتين على الناس زمان يأتى الرجل القبر فيقول ياليتنى مكان هذا ليس به حب الله تعالى ولكن من شدة ما يرى من البلاء أى من شدة الانكاد والمشاق والمحن الواقعة للانسان فى نفسه وولده وماله حتى يذهب أكثر دينه .

من النجاة من هذا البلاء وتلك الفتن ؟

لانجاة إلا فى طاعة الله والتوجه إليه وطاعة الله مجلبة لرحمته .

روى أبونعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عزوجل يقول : « أنا الله لا إله إلا أنا ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك فى يدى وإن العباد إذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة وإن العباد إذا عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن أشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع إلى أكفكم ملوككم » .

أشراط الساعة

من الأمور التى يجب معرفتها لكل مسلم علامات الساعة وأماراتها وقد عقد العلماء لهذه القضية أبواباً لما لها من أهمية .

وهناك فرق بين علاماتها وموعد قيامها فمن ظن أن أحداً يدرى وقت قيامها فقد أعظم الفرية على الله فقد تعددت آيات القرآن التى تدل

دلالة قاطعة أن أحداً لايعلم وقت قيامها إلا الله وما أطلع الله عليها أحداً من خلقه وما عرف موعد قيامها نبي مرسل ولا ملك مقرب حتى قال بعض المفسرين فى قوله تعالى « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » قالوا أكادوا أخفيها حتى عن نفسى وهذه مبالغة فى إخفائها عن جميع خلق الله مهما علت مراتبهم قال جل شأنه لصفوة خلقه ومصطفاه : « يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون » ويزيد القضية وضوحاً فيقول لحبيبه وصفوة خلقه : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولاضراً إلا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

وفى سورة النازعات يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها إنما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » .

لقد رأى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه ملك الموت فى المنام ذات ليلة فسأله : يا ملك الموت كم بقى من عمرى ؟ وقد تمثل له ملك الموت بشراً سوياً فأشار له الملك بأصابعه الخمسة فسأله مالك خمس سنين أم شهور أم أيام ؟ ولم يجبه الملك واستيقظ من منامه وهو يردد السؤال بينه وبين نفسه ترى ما تكون هذه الخمسة ؟ ولكنه سأل الذين يعبرون الرؤى فقال له أحدهم : يا إمام ليس المراد بالخمسة كما تقول ليس المراد بها سنيناً

ولا شهوراً ولا أياماً إنما يريد أن يقول لك ملك الموت أن سؤالك هذا فى خمسة أمور من الغيب لا يعلمهن إلا الله « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » .

إذن ما المراد بأمارات الساعة ؟

إن المراد بها العلامات التى إذا ظهرت بين الناس دلت على قربها ودنو قيامها واقترابها أمر نسبى فلقد أثبت القرآن أن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم دليل على اقترابها قال سبحانه : «اقتربت الساعة وانشق القمر »

وهذا ما أكده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بإصبعيه ثم زاد هذا الأمر توكيدا فقال « إن كادت تسبقنى » .

والمراد بهذا أنك لو قارنت بين الزمان الذى بعد البعثة المحمدية إلى يوم البعث وبين الزمان الذى مضى من عمر الدنيا إلى يوم البعثة المحمدية لعلمت كيف عبر القرآن باقترابها بعد البعثة فمحمد خاتم الأنبياء وأمته آخر الأمم وماذا بعد محمد إلا قيام الساعة .

وإليك نماذج من أشراط الساعة حتى تكون على ذكر منها .

روى الحافظ أبو نعيم عن حذيفة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للساعة أشراط قيل : يارسول الله ما أشراطها ؟ قال علو

أصوات أهل الفسق فى المساجد وظهور أهل المنكر على أهل المعروف فقال أعرابى فما تأمرنى يارسول الله ؟ قال : دع ما تنكر وخذ ما تعرف .

والحكمة : من بيان الرسول لإشراط الساعة حتى يكون الناس على أهبة واستعداد لقيام الساعة الموعود بها فإن تلك الأشراط قد جعلها الله علامة على انتهاء مدة الدنيا فمنها خروج الدجال ونزول عيسى وقتله الدجال وخروج يأجوج ومأجوج والدابة التى تخرج من الأرض تكلمهم أى تسم الناس فى وجوههم من مسلم وكافر ومنها طلوع الشمس من مغربها فهذه هى الآيات العظام وأما ما تقدم هذه الآيات من قبض العلم وغلبة الجهل واستيلاء أهله وبيع الحكم وظهور المعازف واستفاضة شرب الخمر واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال وإطالة البنيان وزخرفة المساجد وإمارة الصبيان ولعن آخر هذه الأمة أولها وكثرة الهرج يعنى القتل بغير حق فإنما هى أسباب حادثة مصدقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر وأنذر فهى من معجزاته .

أمور تكون بين يدى الساعة
ودلالات على قربها

عقد العلماء لهذه الأمور فصلا استنبطوا معانيها من النصوص الواردة وذلك لتكون تذكرة وعبرة وتعيها أذن واعية .

روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى فيه وحتى يتطاول الناس فى البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتنى مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت فى إيمانها خيراً ، لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلايطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلايسقى منه أبله ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » قال الإمام القرطبى رحمه الله فهذه ثلاث عشرة علامة رواها أبوهريرة فى حديث واحد

ومن أمارات الساعة ودليل قربها ما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم

« لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قال رسول الله : اليهود والنصارى قال فمن ؟

قال الإمام القرطبي رضى الله عنه « ومن علامات الساعة أيضاً قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيكون فى آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة ولقد أحسن ابن المبارك فى قوله .

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبان .

قال معاذ بن جبل رضى الله عنه سيبلى القرآن فى صدور أقوام كما يبلى الثوب يتهافت . يقرءونه لايجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لايخالطه خوف أن قصروا قالوا : سنبلغ وإن أساءوا قالوا : سيغفر لنا إنا لم نشرك بالله شيئاً » .

ومن علامات الساعة ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب » .

وفى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا أمامكم وتجتلدوا بأسيافكم ويلى أموركم شراركم » .

ومن علامات الساعة ما رواه البخارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد » . ويراد بكثرة النساء أن العدد الكثير منهن يلذن بالرجل الواحد — وذلك

لقلة الرجال — بسبب قتلهم فى الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل فتراهن يقبلن على الرجل الواحد يقوم بمصالحهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء .

وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول سيأتى عليكم زمان يقل فيه العلم ويظهر فيه الجهل بالكتاب والسنة . وكان يقول ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف وإنما حفظه بإقامة حدوده .

وفى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله تعالى لاينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً وإنما ينزعه بقبض العلماء فتبقى ناس جهال فيستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون » .

وروى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن من أشراط الساعة . أن يتدافع أهل المسجد الإمامة . فلايجدون إماماً يصلى بهم » .

وذلك لكثرة الجهل والجهلاء . بالكتاب والسنة نعوذ بالله من شر هذا الزمان .

ومن أمارات الساعة تكالب الناس على المال حتى يقتل بعضهم بعضا فتكثر الدماء لا فى سبيل الله وإنما فى سبيل الحصول على المال .

روى أئمة الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوشك الفرات أن ينحسر عن كنز من ذهب . فمن حضر فلايأخذ منه شيئاً» . وفى رواية للشيخين عن جبل من ذهب وفى رواية لمسلم يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس

عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون . ويقول كل واحد لعلى أكون أنا الذى أنجو » .

وفى رواية لابن ماجة فيقتتل الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة . وفى روايةٌ لمسلم والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تئ الأرض افلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة. فيجيء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ، ويجيء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً » .

وإنما نص الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الامارات ليكون فى ذلك تنبيه لأهل الغفلة بقرب الساعة فلا داعى للركون إلى الدنيا .

وما أجمل قول أحد الحكماء :

تزود من حياتك للمعـــاد ... وقم لله وأجمع خير زاد
ولا تركن إلى الدنيـــا كثيراً ... فإن المـــال يجمع للنفـــاد
أترضى أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

وما أجمل ماقاله آخر :

لا تركنن إلى القصـــور الفاخرة ... واذكر عظامك حين تمس ناخرة
وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل ... يا رب إن العيش عيش الآخرة

وما أعجب ما قاله ثالث :

تزود من التقوى فإنك لا تدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا ... وقد نسجت اكفانه وهو لايدرى

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم وقد ادخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من عروس زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن الساعة

روى البخارى أن اعرابياً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقال : « متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه فقال : بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال وقال بعضهم بل لم يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال حتى إذا قضى حديثه قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : ها أنذا يا رسول الله . قال : فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال : وكيف اضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة .

وفى حديث جبريل الطويل الذى رواه مسلم وغيره أن جبريل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال : «ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال فاخبرنى عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان » .

وفى رواية فقال : « إذا رأيت الأمة تلد ربتها فذلك من اشراطها وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذلك من اشراطها » .

وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع » .

وفى رواية « لا تقوم الساعة حتى يكون المطر قيظاً والولد غيظاً » .

وفى رواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « سيأتى على الناس سنوات خدعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويخون فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة قيل يارسول الله ، وما الرويبضة قال الرجل التافه ينطق فى أمر العامه والتافه هو الخسيس من الناس الخامل الذكر .

وفى رواية « لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول وتظهر التحوت قالوا : يا رسول الله ما الوعول وما التحوت ؟ قال الوعول وجوه الناس (أى شرفاؤهم) والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم .

قال العلماء : وقد وجدت هذه العلامات وصار الولاة لا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمى عن الابصار له فالله تعالى يلطف بنا وبولاتنا ويميتنا وإياكم على الإسلام .

إماراتٌ أخرى في حديثٍ جامعٍ نطق به المعصوم
صلوات الله وسلامه عليه

روى الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وما هى يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولا والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، واطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، واكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا » زاد فى رواية أخرى على الخمسة عشر « وتعلم العلم لغير الدين وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم واكرم الرجل مخافة شره » وفيه : « إذا فعلت الأمة ذلك تتابعت الآيات كنظام بال قطع سلكه فتتابع » وروى الحافظ أبو نعيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير » .

وزاد فى رواية أخرى فقيل يا رسول الله « ويشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ويصومون ؟ » قال : نعم . قيل : فما بالهم

يا رسول الله ؟ قال : يتخذون المعازف والقينات والدفوف ويشربون الأشربة فبينما هم على شربهم ولهوهم إذ أصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير » : وفى حديث ابن ماجة « ليشربن ناس من أمتى الخمر. يسمونها بغير اسمها تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات يخسف الله تعالى بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير إلى يوم القيامة » .

وروى الخطيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه وجه نضلة ابن معاوية إلى القادسية فلما دخل وقت العصر أذن نضلة فقال : الله أكبر . الله أكبر . فإذا مجيب من الجبل يجيبه : كبرت كبيرا يانضله . ثم قال : اشهد أن لا إله إلا الله . فقال : كلمة الاخلاص يا نضلة . ثم قال : أشهد أن محمداً رسول الله . قال : هو النذير ، وهو الذى بشر به عيسى بن مريم ، عليهما السلام ، وعلى رأس أمته تقوم الساعة ثم قال : حى على الصلاة ، قال : طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها . ثم قال : حى على الفلاح ، قال أفلح من اجاب محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهو البقاء لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . قال : الله أكبر . الله أكبر . لا إله إلا الله . قال : اخلصت الاخلاص كله يا نضله . فحرم الله تعالى جسدك على النار . فلما فرغ نضله من أذانه وقاموا قالوا له : يعنى لمن كان يجيب المؤذن من ناحية الجبل ، من أنت يرحمك الله ؟ أملك أنت أم ساكن من الجن ؟ أم طائف من عباد الله اسمعتنا صوتك فأرنا صورتك فإنا وفد الله ووفد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ووفد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : فانفلق الجبل عن هامة كالرحى أبيض الرأس واللحية وعليه طمران من صوف .

فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقالوا له وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . من أنت يرحمك الله ، فقال : أنا زرنب بن يرتملا وصى العبد الصالح عيسى بن مريم اسكننى هذا الجبل ودعا لى بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما استحلته النصارى . فأما إذا فاتنى لقى محمد صلى الله عليه وسلم فاقرئوا عمر منى السلام ، وقولوا له يا عمر سدد وقارب فقد دنا الأمر واخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها ، فإذا ظهرت فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرم الهرم . إذا استغنى الرجال بالرجال . والنساء بالنساء وأنتسبوا فى غير مناسبهم . وانتموا إلى غير مواليهم . ولم يرحم كبيرهم صغيرهم . ولم يوقر صغيرهم كبيرهم . وترك المعروف فلم يؤمر به وترك المنكر فلم ينه عنه . وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدنانير والدراهم وكان المطر قيظا والولد غيظا . وطولوا المنارات وفضضوا المصاحف . وشيدوا البناء . واتبعوا الشهوات وباعوا الدين بالدنيا واستخفوا بالدماء وقطيعة الأرحام وبيع الحكم وأكل الربا . وصار الغنى عزا . وخرج الرجل من بيته فقام له من هو خير منه فسلم عليه وركبت النساء السروج ثم غاب عنا يعنى زرنب بن يرتملا فلم نره . فكتب بذلك نضلة إلى سعد بن أبى وقاص فكتب به سعد إلى عمر . وكتب عمر إلى سعد : يا سعد لله أبوك سر أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا بهذا الجبال فإن لقيته فاقرئه منى السلام . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن بعض أوصياء عيسى بن مريم عليهما السلام قد نزل ذلك الجبل ناحية العراق . قال : فخرج سعد فى أربعة آلاف

من المهاجرين والأنصار حتى نزل ذلك الجبل أربعين يوما ينادى بالأذان فى كل وقت صلاة فلا جواب .

روى الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : « يكون فى أمتى فزعة فتصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قردة وخنازير » قال العلماء ؛ وإنما مسخ الله هؤلاء العلماء قردة وخنازير لأن المسخ هو تغيير الخلقة عن جهتها فعوقبوا بنظير ما فعلوا من تغيير الحق عن جهته وتحريف الكلم عن مواضعه فكما مسخوا أعين الخلق وقلوبهم عن رؤية الحق مسخ الله صورهم وغير خلقتهم كما بدلوا الحق باطلا نسأل الله من فضله أن يحفظنا واخواننا من الفقهاء من الزيغ عن الحق ويمتنا على الإسلام .

ومن علامات الساعة

رفع الأمانة والايمان من القلوب

روى الشيخان وغيرهما عن حذيفة قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . حديثين قد رأيت احدهما وأنا انتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال يعنى وسط قلوبهم ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة » .

وفى رواية « إن الأمانة ترفع من قلب الرجل وهو نائم فينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه . فيظل أثرها مثل الوكت ؛ ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل المجل لجمر دحرجته على

رجلك فتنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاه على رجله . فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال : إن فى بنى فلان رجلا أمينا وحتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله . وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . نسأل الله اللطف بنا وبالمسلمين .

ومن علامات الساعة
ذهاب العلم ورفعه

روى ابن ماجة عن زياد بن لبيد قال : ذكر النبى صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال : ذاك عند أوان ذهاب العلم . قلت يارسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا وتقرئه أبناؤنا لأبنائهم إلى يوم القيامة ؟ فقال : ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأراك أفقه رجل بالمدنية أو ليس هؤلاء اليهود والنصارى يقرءون التوراة والانجيل لا يعملون بشيء منهما » .

وخرج الترمذى عن أبى الدرداء قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء . ثم قال : هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء . فقال : زياد يا رسول الله كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرؤه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا فقال ثكلتك أمك يا زياد . إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغنى عنهم » .

وكان عبادة بن الصامت .رضى الله عنه يقول : إن شئتم لأحدثنكم بأول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلا خاشعا .

قال العلماء والمراد برفع العلم رفع العمل كما قاله عبد الله بن مسعود كان يقول ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده .

وروى ابن ماجة والدارقطنى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتى » .

وروى ابن ماجة عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى منه فى الأرض آية وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز فيقولون ادركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقر بها . فقال له صلة فما تغنى عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة وما صيام وما صدقة ولا نسك فاعرض عنه حذيفة ثم رددها عليه ثلاثة كل ذلك يعرض عنه حذيفة . ثم أقبل حذيفة عليه فقال يا صلة تنجيهم من النار قالها ثلاثا . قال القرطبى وهذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام .

الآيات العشر التي تكون قبيل الساعة

روى عن حذيفة قال : كنا جلوساً بالمدينة فى ظل حائط وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فى غرفة فأشرف علينا وقال : مايحبسكم؟ فقلنا نتحدث . فقال فى ماذا ؟ قلنا عن الساعة . قال : إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات أولها طلوع الشمس من مغربها ثم الدخان ثم الدجال ثم الدابة ثم ثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب . وخروج عيسى وخروج يأجوج ومأجوج ويكون آخر ذلك نار تخرج من اليمن من قعر عدن لا تدع خلفها أحداً إلا تسوقه إلى المحشر .

وخرج مسلم بمعناه عن حذيفة وفى رواية وعد من العشر نزول عيسى عليه السلام .

وفى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب .

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى » قال القرطبى : وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً منها .

وفى رواية أخرى : إذا هدمت الكعبة وطرحوا حجارتها فى البحر فعند ذلك يكون علامات منكرات طلوع الشمس من مغربها ثم الدجال ثم يأجوج ومأجوج ثم الدابة .

وفى صحيح مسلم مرفوعاً: لا تقوم الساعة حتى يخرج ريح يلقى الناس فى البحر .

قال القرطبى : وقد جاء فى الروايات إذا خرج يأجوج ومأجوج وقتلهم الله بالنغف فى أعناقهم وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام وخلت الأرض منهم . وتطاولت الأيام على الناس وذهب معظم دين الإسلام أخذ الناس فى الرجوع إلى عاداتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه فيخرج الله لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفساق عن فسقهم ويستبصروا ويرجعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ثم تغيب الدابة عنهم ويمهلون فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك من كافر ولا فاسق توبة ، وأزيل الخطاب والتكليف عنهم .

كان قيام الساعة على أثر ذلك قريباً لأن الله يقول « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فإذا قطع عنهم التعبد لم يقرهم بعد ذلك فى الأرض زماناً طويلا . أما الدخان فقد روى عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن من أشراط الساعة دخاناً يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث

فى الأرض أربعين يوماً فاما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره . قال تعالى « فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم » .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : « إذا وقع الدخان والبطشة الكبرى فعند ذلك يبعث الله الريح الجنوب من اليمن فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس » .

وقد أخبر الله تعالى عن خروج الدابة فى قوله « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون »

ذكر المفسرون أن الدابة خلق عظيم تخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد فتسم المؤمن فتنير وجهه وتسم الكافر فتسود وجهه وتكتب بين عينيه كافر بالله . وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول أن هذه الدابة هى الحساسة .

كلمة عن المسيح الدجال

ظهور المسيخ الدجال علامة كبرى من علامات الساعة وقد وردت عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث تبين لنا سمات المسيخ الدجال وعلاماته . وهى صحيحة فى سندها صريحة فى لفظها لكننا قبل أن نورد هذه النصوص نبادر بالقول بأن المسيخ فتنة وأنه يظهر فى وقت يكثر فيه الفساد فما النجاة من فتنة لمن أدرك زمانه . وعاش إلى أوان ظهوره .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من أربع كان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيخ الدجال » .

وروى مسلم عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال . وفى رواية من آخر الكهف » .

• أما وقد علمنا ذلك فما هو الدجال ؟

جاء فى كتاب كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى ما نصه « الدجال لقب له . لقب به لشدة تدجيله وكذبه ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل وهو رجل يهودى الأصل يظهر من جهة المشرق فيدعى بين الناس الصلاح والاستقامة ثم أنه يدعى الألوهية ويتبعه فيما يدعو الناس إليه خلق كثير معظمهم من اليهود » .

روى الشيخان وغيرهما عن حذيفة واللفظ لمسلم أن عقبة قال له : حدثنى ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدجال . فقال : « إن الدجال يخرج وإن معه ماءاً ونارا فأما الذى يراه الناس ماءاً فنار تحرق وأما الذى يراه الناس ناراً فماء بارد عذب . فمن أدرك ذلك منكم فليقع فى الذى يراه ناراً فإنه عذب طيب فقال عقبة : وأنا قد سمعته تصديقاً لحذيفة .

روى مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد وغيرهم حديثاً طويلا فى شأن الدجال وما يكون فى وقته نسوقه لك باختصار عن النواس ابن سمعان رضى الله عنه قال : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل . فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : غير الدجال أخوفنى عليكم . إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وأن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم أنه شاب قطط عينه طافئه كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا . قلنا يا رسول الله وما لبثه فى الأرض ؟ قال : أربعون يوماً : يوم كسنه ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا يا رسول الله : فذلك اليوم الذى كسنه أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ . قال : لا اقدروا له قدره . قلنا يا رسول الله وما أسراعه فى الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ثم يدعو رجلا ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جذلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عنه المنارة البيضاء شرقى دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع تحدر منه مثل الجمان فيطلبه أى الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله » .

ومن صفاته أيضاً أنه لايولد له — أى ليس له ولد — ولا يمكن من دخول الحرمين الشريفين مكة والمدينة وأنه مكتوب على جبهته كافر يتبينها كل مسلم ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام .

روى الحافظ بن حجر « فإن قلت كيف يجرى الله الآيات الباهرة على يده مثل إحياء الموتى وهو من الآيات العظام التى لاتكون إلا للأنبياء؟

فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعباد إذ كان عندهم مايدل على أنه مبطل غير محق فى دعواه وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرأه كل مسلم فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر إذ لو كان إلها لأزال ذلك عن وجهه وآيات الأنبياء سالمة عن المعارضة فلا يشتبهان ثم قال وفى الدجال مع ذلك دلاله بينه لمن عقل كذبه لأنه ذو أجزاء مؤلفة وتأثير الصفة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينه فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوى العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوى خلق غيره ويعدله ويحسنه ولا يدفع النقص عن نفسه فأقل ما يجب أن يقول : يامن يزعم أنه خالق السماوات والأرض صور نفسك وعدلها وأزل عنها العاهة فإن زعمت أن الرب لايحدث فى نفسه شيئاً فأزل ماهو مكتوب بين عينيك . قلت : وقد علمت أن الله عزوجل جعل ظهور الدجال فتنة خطيرة كبرى للناس كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم وكما أنذر ولو لم يكن قد مكنه الله من أحداث بعض الخوارق وجعل إليه مقاليد كثير من الخيرات والأرزاق لما كان فتنة إذا علمت هذا . فاعلم أنه ليس للبحث العقلى أى سبيل إلى تحليل شخصية هذا

الإنسان ودراسته من وراء هذا الذى أخبرت به النصوص الصحيحة إذ أن المنفذ العقلى الوحيد إلى فهم أى شيء عنه إنما هو الخبر اليقينى ولولا ورود هذا الخبر لما تصورنا وجوده أصلا فضلا عن اعتقاده والإيمان بظهوره . أما عندما يحين وقت ظهوره وعلم ذلك عند الله عز وجل ويظهر للناس فعندئذ يتحول أمره من مسألة غيبيه مجردة إلى واقع حي ملموس وعندئذ يخضع أمره للنظر والتحليل شأنه شأن كل المشاهدات المحسوسة الأخرى أ . هـ .

ما يمنع الدجال من دخوله البلاد إذا خرج

روى الشيخان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وفى رواية فلا يدع قرية إلا هبطها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على الدجال كلتاهما .

وفى رواية إلا الكعبة وبيت المقدس وجبل الطور .

وفى رواية أخرى للطحاوى : فلا يبقى موضع إلا دخله غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فإن الملائكة تطرده عن هذه المواضع .

نسأل الله النجاة من هذه الفتنة الكبرى التى أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « إنه لم تكن فتنة فى الأرض منذ ذرأ الله آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال وإن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج عليكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم وإن يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه والله تعالى خليفتى على كل مسلم وأنه يخرج من حلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً ويعيث شمالا يا عباد الله فاثبتوا فإنى سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبى قبلى أنه يبدو فيقول أنا نبى وأنه لانبى بعدى ثم ينثنى فيقول أنا ربكم ولاترون ربكم حتى تموتوا وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن

كاتب وغير كاتب وإن من فتنته أن معه جنة ونارأفناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليستغث بالله ويقرأ فواتح سورة الكهف فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم وإن من فتنته أن يقول إن يسلط على نفس واحدة فيقتلها يأشرها بالمنشار حتى تلقى شقتين ثم يقول انظروا إلى عبدى هذا فإنى أبعثه الآن ثم يزعم أن له رباً غيرى فيبعثه الله فيقول له الخبيث : من ربك ؟ فيقول له : ربى اللهوأنت عدو الله الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك منى اليوم .

وقد بلغ من خشية الصحابة لقيام الساعة بغتة أنهم قالوا : يارسول الله ذكرت الدجال فو الله إن أحدنا ليعجن عجينة فما يختبز حتى يخشى أن يفتتن وأنت تقول الأطعمة تزوى إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفى المؤمنين يومئذ ما يكفى الملائكة قالوا : فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولكنها تقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام المؤمنين يومئذ التسبيح .

نهـاية الدجـال

جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من فتنته أيضاً أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وإن من فتنته أن يمر بالحى فيدعوهم فيكذبونه ويردون عليه قوله فينصرف عنهم فتتبعه أموالهم ويصبحون ليس بأيديهم شيء ثم يأتى القوم فيدعوهم فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأنه لايبقى بشيء

من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف حملته حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فينفى الخبث منها كما ينفى الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص. فقالت أم شريك : فأين العرب يومئذ؟ قال هم قليل ومحلهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليه عيسى عليه السلام للصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشى القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام يصلى بالناس فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلى بهم امامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيوف محلى وتاج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وانطلق هارباً ويقول عيسى عليه السلام إن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيدركه عند باب رملة لد الشرقى فيقتله فيهزم الله تعالى اليهود ولايبقى شيء . مما خلقه الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشيء .

وفى رواية : لا يبقى حجر ولا شجر ولاحائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم إلا قال : يا عبد الله المسلم هذا يهودى تعالى فاقتله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن عيسى عليه الصلاة والسلام سيكون عيسى فى أمتى حكماً عدلا وإماماً مقسطاً يدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل

الوليد يده فى فم الحية فلا تضره ويغمز الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كأنها فضة ينبت نباتها كما كانت فى عهد آدم عليه السلام حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات . قيل يارسول الله وما يرخص الفرس ؟ . قال : لا يركب لحرب أبداً . فقيل له وما يغلى الثور ؟ قال : تحرث الأرض كلها وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء فى السنة الأولى أن تحبس ثلث قطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء فى السنة الثانية فتحبس ثلثى قطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثى نباتها . ثم يأمر الله السماء فى السنة الثالثة فتحبس ماءها كله فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض أن تحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ولاتبقى ذات ظلف ولا سن إلاهلكت إلاماشاء الله . فقيل فبم يعيش الناس فى ذلك الزمان ؟ فقال : بالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجزى ذلك عنهم مجزأة الطعام ...

. ا . هـ .

نزول السيد المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

ومن أهم علامات الساعة الكبرى نزول السيد المسيح عيسى بن مريم حكماً عدلا مقسطاً يدعو إلى الله على بصيرة وإلى كلمة التوحيد خاصة التى رفع الأنبياء جميعاً لواءها وعملوا فى معسكرها وعلى رأسهم ناشر الهدى وواسع الندى محمد صلى الله عليه وسلم . واعلم أن نزوله لايناقض كون رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وآخرهم كما لايناقض أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع وباقية إلى يوم القيامة . وذلك لأن المسيح لم يأت بشرع مستقل ولا كتاب جديد إنما يدعو إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة فهو بمثابة عالم من علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم يدعو إلى نفس ما دعا إليه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم وإنما اختار الله جلت حكمته عيسى بالذات لهذه المهمة لأن اتباعه بعد وفاته اتهموه بمالا يليق بذاته من دعوى الألوهية أو النبوة أو غير ذلك من دعوى التثليث فنزل خصيصاً ليقول لهم إنما أنا عبد الله لا حول لى ولا قوة والإقرار كما ذكروا سيد الأدلة وكما نفى ذلك . فى الدنيا سينفيه يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل قال جل شأنه (وإذا قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقدعلمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت

فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السماوات والأرض ومافيهن وهو على كل شىء قدير) .

واعلم يا أخى أن نزول المسيح أمر ثبت بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) .

وشاهدنا فى هذه الآيات قوله جل شأنه (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) والمعنى لايبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته فالضمير فى (قبل موته) عائد كما هو واضح من سياق الآيات إلى عيسى عليه السلام .

قال العلامة ابن كثير بعد أن شرح الآية على هذا الوجه ولا شك أن هذا هو الصحيح لأنه المقصود من سياق الآية فى تقرير بطلان ما أدعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك . فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لايتبينون ذلك ثم إنه سبحانه رفعه إليه وإنه باق حى وإنه سينزل قبل

يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيخ الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية « يعنى لايقبلها من أحد بل لايقبل إلا الإسلام دون أن يكون لذلك بديل » فأفادت هذه الآية الكريمة أنه لايبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بنبوة عيسى ووحدانية الله الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . ومن الأدلة على نزول المسيح ماجاء فى سورة الزخرف من قوله تعالى : (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ماضربوه لك إلاجدلا بل هم قوم خصمون إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلالبنى إسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) .

وشاهدنا فى هذه الآيات قوله تعالى « وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها » فإن الضمير فى قوله (وإنه) عائد إلى ابن مريم الذى تتحدث الآيات عنه والمعنى أن عيسى لدليل على قيام الساعة وإنما يكون ذلك بنزوله من السماء حكماً مقسطاً عادلا .

بالإضافة إلى أن هناك قراءة تقول (وإنه لعلم) بفتح العين واللام أى إشارة ورمز لها ولاينبغى أن يكون للآية أى معنى غير هذا وهو المعنى الذى اتفقت عليه كلمة عامة المفسرين .

أما ماورد عن النبى صلى الله عليه وسلم من الأحاديث فإننا نورده فيما يلى : —

روى الإمام مسلم رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لينزلن عيسى بن مريم حكماً عدلا فليكسرن الصليب وليضعن

الجزية وليتركن القلاصى فلا يسعى إليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد » .

وفى الحديث « كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم فأمكم منكم » .

قال ابن أبى ذئب أتدرون ما أمكم منكم يؤمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم .

وفى الحديث أيضاً « والذى نفس محمد بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو بنيتهما » .

وفى رواية « لينزلن عيسى بن مريم على ثمانى مائة رجل وأربعمائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ وكصلحاء من مضى » .

وفى رواية « إن عيسى بن مريم إذا نزل يتزوج ويولد له فيمكث خمساً وأربعين سنة ويدفن معى فى قبرى فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبى بكر وعمر وقيل: إنه يتزوج امرأة من العرب بعد مايقتل الدجال وتلد له بنتاً فتموت ويموت هو بعد ما يعيش سنين .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يمكث عيسى فى الأرض بعد ما ينزل أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه » .

وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الأنبياء إخوة علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى بعيسى لأنه لم يكن بينى وبينه نبى فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض

وإن رأسه تقطر ولم يصبه بلل وإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال حتى يهلك الله فى زمانه الملل كلها غير الإسلام وحتى يهلك الله فى زمانه مسيخ الضلالة الأعور الكذاب وتقع الأمنة فى الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضاً يبقى فى الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه .

وفى الحديث « يقبض الله تعالى روح عيسى عليه السلام ويذوق الموت ويدفن إلى جانب النبى صلى الله عليه وسلم فى الحجرة ويموت خيار الأمة ويبقى الأشرار فى قلة من المؤمنين فذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ » .

ظهور يأجوج ومأجوج

ومن علامات الساعة الكبرى التى أخبر عنها الصادق الأمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهور يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح وظهورهم دليل قاطع على عموم الفساد والإفساد فى الأرض. ولقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة بما لا يدع مجالا للشك .

قال تعالى فى سورة الكهف حكاية عن الملك العادل ذى القرنين : (حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً . قال ما مكنى فيه ربى

خير فأعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً . مما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً) .

وقال تعالى فى سورة الأنبياء (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقترب الوعد الحق) ...

وللقارىء أن يلحظ هنا ملاحظتين أولاهما : أن اسم يأجوج ومأجوج فيه مادة التأجج التى تطلق على النار يقال تأججت النار إذا حمى وطيسها واندلع لهيبها فهؤلاء الناس فيهم معنى التأجج واستطارة الشر وثانية الملاحظتين : أن هؤلاء الناس يقترن ظهورهم وخروجهم إلى الأرض وانسياحهم فيها مقترن بقرب الساعة فى سورة الكهف (فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء) .

وفى سورة الأنبياء (واقترب الوعد الحق) . وهذه إشارة تكاد تكون عبارة عن أن هؤلاء دليل على قرب الساعة وعلامة من علاماتها الكبرى .

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة شارحة شرور هؤلاء خرج الإمام ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يفتح سد يأجوج ومأجوج فيخرجون كما قال الله تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية المسلمين فى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم حتى أنهم ليمرون بالنهر فيشربونه حتى مايذروا فيه شيئاً فيمر أحدهم على أثرهم

فيقول قائلهم : لقدكان بهذا المكان ماء ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لنتناول أهل السماء حتى إن أحدهم ليهز حربته إلى نحو السماء فترجع مخضوبة بالدم فيقولون قد قتلنا أهل السماء فبينما هم كذلك إذ بعث الله تعالى دواب كنغف الجراد فتأخذ بأعناقهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضاً فيصبح المسلمون لايسمعون لهم حساً فيقولون هل من رجل يشترى نفسه وينظر مافعلوا فينزل إليهم رجل فيوطن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى فيناديهم ألا أبشروا فقد هلك عدوكم بأجمعهم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلالحومهم . فتجتر عليهم كأحسن ماتجتر من نبات أصابته قط .

ومن المعلوم شرعاً أن الله تعالى يمنع هؤلاء المفسدين من دخول مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف لمكانة هذه البلاد المقدسة عند الله تعالى .

نسأل الله العفو والمعافاة من هؤلاء المفسدين كما نسأله أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

(العلامة الرابعة) خروج الدابة

قال الله تعالى: (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) .

قال العلماء فى تفسير هذه الآية الكريمة « أى يقع الوعيد عليهم لتماديهم فى العصيان يقال وقع الأمر أى وجب فإذا صاروا لا يجبون

موعظة ولا تؤثر فيهم تذكرة ولا تنجح فيهم موعظة أخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض تكلمهم أى دابة تعقل وتنطق وذلك ليقع لهم العلم بأنها آية من قبل الله عز وجل ضرورة فإن الدواب فى العادة لا كلام لها.

وروى ابن ماجه والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران فتجاوا وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بخاتم سليمان حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول أحدهم للمؤمن يا مؤمن ويقول أحدهم للكافر يا كافر .

قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود : « فبينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها عليه المسجد الحرام لن يروعهم إلا وهى ترغوا بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب وتسمى هذه الدابة الجساسة كما ورد فى حديث مسلم الطويل وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع أصحابه وقال : « ماجمعتكم لرغبة ولالرهبة ولكنى جمعتكم لأن تميما الدارى كان رجلا نصرانياً فجاء وبايع وأسلم وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيخ الدجال حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجزام فلعبت بهم الريح شهراً فى البحر ثم أرموا إلى جزيرة فى البحر حيث تغرب الشمس فجلسوا فى قرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة والمقصود بها هى تلك الدابة التى ستظهر قرب الساعة » .

(العلامة الخامسة من علامات الساعة)
طلوع الشمس من مغربها وعندها لا تقبل توبة من عاصى ولا ايمان من كافر حيث يغلق باب التوبة

قال تعالى : (يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) .

وقد جاءت الأحاديث النبوية الصحيحة مبينة هذه العلامة بياناً لايدع مجالا للجدل .

روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث إذا خرجن لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض » .

وروى الإمام الترمذى وغيره عن صفوان بن عسال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه » .

فيا أيها المسلم بادر بالتوبة كما أمر بذلك سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله «بادروا بالأعمال الصالحة هل تنتظرون إلافقراً منسياً أوغنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفندا أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة . والساعة أدهى وأمر .. لا تسوف التوبة واعلم بأن لك قيامة خاصة قبل القيامة العامة فقيامتك الخاصة يوم موتك « من مات فقد قامت قيامته » وأيامنا خمسة يوم مفقود ويوم مشهود ويوم موعود ويوم مورود ويوم ممدود أما اليوم المفقود فهو الذى مضى ولن يعود

وهو الذى يناديك فجره يا ابن آدم أناخلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة » .

تزود من حياتك للمعاد
وقم لله واجمع خير زاد
ولا تركن إلى الدنيا كثيراً
فإن المال يجمع للنفاد
أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وأنت بغير زاد

أما اليوم المشهود فهو اليوم الذى أنت فيه وهو الذى يناديك :

تزود من التقوى فإنك لا تدرى
إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكاً
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم
وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

أما اليوم الموعود فهو الغد المجهول الذى اختص الله تعالى بعلمه (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) فأعد الزاد له .

تزود من التقـــوى فإنك راحل

وسارع إلى الخيرات فيمن يسارع

فما المـــال والأهلون إلا ودائع

ولابد يومـــاً أن ترد الودائع

وأما اليوم الموعود فهو يوم لقاء الله فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم إن هذا لهو الحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم .

أما اليوم الممدود . فهو اليوم الذى ينادى فيه الملك : (لمن الملك اليوم) (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب » .

فيا ابن آدم يا مسكين اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك.

صم عن الدنيا وافطر على الموت وأعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة واعلم أن من أهوال الساعة التى تتقدم قيامها دخاناً يملأ ما بين السماء

والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل من أنوفهم فيثقب مسامعهم وطريق أنفاسهم .

فاتق الله فى نفسك ولا تسوف التوبة (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً » .

يقول حجة الإسلام الغزالى رحمه الله تعالى ورضى الله عنه فى كتابه « الإحياء » .

« اعلم أن المنهمك فى الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أولئك هم الذين قال الله فيهم (قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) .

ثم الناس إمامنهمك وإمانائب مبتدىء أو عارف منته . أما المنهمك فلا يذكر الموت وإن ذكره يذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً . وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الذات وهومعذور فى كراهة الموت . ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم

« من كره لقاء الله كره الله لقاءه » فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره. وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارهاً للقائه . وعلامة هـذا أن يكون دائم الاستعداد له لاشغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك فى الدنيا . وأما العارف فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقائه لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا فى غالب الأمر يستبطىء مجىء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم اللهم إن كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الغنى والسقم أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من العيش فسهل على الموت حتى ألقاك فإذن التائب فى كراهة الموت وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه وأعلى منهما رتبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لايختار لنفسه موتاً ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل فإن المنهمك أيضاً يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا إذ ينغص عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل مايكدر على الإنسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثروا من ذكر هادم اللذات» معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وسلم « لوتعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سميناً » .

وقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله : هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة .

وإنما سبب هذه الفضيلة كلها أن ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور . ويتقاضى الاستعداد للآخرة . والغفلة عن الموت ، تدعو إلى الانهماك فى شهوات الدنيا .

وقال صلى الله عليه وسلم « تحفة المؤمن الموت » وإنما قال هذا لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لايزال فيها فى عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه . فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق تحفة فى حقه .

وقال صلى الله عليه وسلم «الموت كفارة لكل مسلم» وأراد بهذا المسلم حقاً المؤمن صدقاً الذى يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصى إلا باللمم والصغائر فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر وإقامته الفرائض .

قال عطاء الخرسانى : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال « شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال : الموت » .

وقال أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب ويزهد فى الدنيا » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « كفى بالموت مفرقاً »

وقال صلى الله عليه وسلم : « كفى بالموت واعظاً »

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال « اذكروا الموت » أما والذى نفسى بيده لوتعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » .

وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنوا الثناء عليه فقال : «كيف ذكر صاحبكم للموت » قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت : قال فإن صاحبكم ليس هنالك » .

قال ابن عمر رضى الله عنهما : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يارسول الله .فقال : « أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم استعداداً له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة » .

وأما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى: فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحاً . وقال الربيع بن خيثم ما غائب ينتظره المؤمن خيراً له من الموت . وكان يقول: لاتشعروا بى أحداً وسلونى إلى ربى سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخى احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى فيها الموت فلا تجده .

وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه . وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة

والآخرة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة . وقال ابراهيم التيمى شيئان قطعا عنى لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عز وجل.

وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها . وقال مطرف رأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول فى وسط مسجد البصرة : قطع ذكر الموت قلوب الخائفين فوالله ماتراهم إلا والهين .

وقال أشعث : كنا ندخل على الحسن فإنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت .

وقالت صفية رضى الله تعالى عنها : إن امرأة اشتكت إلى عائشة رضى الله عنها قساوة قلبها فقالت: أكثرى ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها .

وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلده دماً .

وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكى حتى تنخلع أوصاله فإذا ذكر الرحمة رجعت إليه نفسه .

وقال الحسن : ما رأيت عاقلا قط إلا أصابته من الموت حذراً وعليه حزيناً .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظنى فقال ألست أول خليفة تموت قال زدنى قال ليس من آبائك أحد إلى آدم إلاذاق الموت وقد جاءت نوبتك ، فبكى عمر لذلك .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبراً فى داره فكان ينام فيه كل يوم

مرات يستديم بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة واحدة لفسد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لاموت فيه .

وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة : أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال أبوسليمان الدارانى قلت لأم هارون : أتحبين الموت قالت : لا . قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدمياً ما اشتهيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته .

باب الطريق فى تحقيق ذكر الموت فى القلب

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجح ذكر الموت فى قلبه . فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شيء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فإنه لايتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله ، فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم وكيف أرملوا

نساءهم وأيتموا أولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فهما تذكر رجل رجلا وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الأسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عما بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وأنه كيف ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه مالا يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاءه الموت فى وقت لم يحتسبه فانكشفت له صورة الملك وقرع سمعه النداء إما بالجنة أو بالنار . فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه « إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم » وقال ابن مسعود رضى الله عنه « السعيد من وعظ بغيره » .

وقال عمر بن عبد العزيز : « ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غادياً أو رائحاً إلى الله عز وجل ، تضعونه فى صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فلازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وغفلة اللسان [illegible] والتنبيه ومهما طاب قلبه بشىء من الدنيا

ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لا بد له من مفارقته نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته فقال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا .

فضيلة قصر الأمل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غداً » .

وروى على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل . فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق : وأماطول الأمل فإنه الحب للدنيا . ثم قال ألا إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب عبداً أعطاه الإيمان . ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا . ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية . ألا إن الآخرة قد ارتحلت مقبلة . ألا وإنكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل » .

وقالت أم المنذر « اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال : أيها الناس اماتستحيون من الله قالوا : وماذاك يارسول

الله ؟ قال تجمعون مالا تأكلون وتأملون مالا تدركون وتبنون مالا تسكنون » .

وقال أبو سعيد الخدرى : اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألاتعجبون من أسامة المشترى إلى شهر إن أسامة لطويل الأمل والذى نفسى بيده ماطرفت عيناى إلا ظننت أن شفرى لايلتقيان حتى يقبض الله روحى ولارفعت طرفى فظننت أنى واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أنى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يابنى آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده إن ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له : يارسول الله إن الماء منك قريب فيقول : « ما يدرينى لعلى لا أبلغه » .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عوداً بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبعده فقال « هل تدرون ماهذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : هذا الإنسان وهذا الأجل وذاك الأمل يتعاطاه ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل » .

وقال عليه الصلاة والسلام : «مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته المنايا وقع فى الهرم » .

قال ابن مسعود : هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع إليه والهرم

وراء الحتوف . والأمل وراء الهرم فهو يؤمل وهذه الحتوف شوارع إليه فأيها أمر به أخذه فإن أخطأته الحتوف قتله الهرم وهو ينتظر الأمل قال عبد الله : خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعاً وخطا وسطه وخط خطوطاً إلى جنب الخط وخط خطاً خارجاً وقال : « أتدرون ما هذا » قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذى فى الوسط وهذا الأجل محيط به وهذه الأعراض للخطوط التى حوله تنهشه إن أخطأه هذا نهشه هذا أو ذاك الأمل يعنى الخط الخارج » .

وقال أنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل » .

وفى رواية « وتشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل » .

وقيل : بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير بها الأرض فقال عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى : اللهم أردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى عن ذلك فقال بينما أنا أعمل إذ قالت لى نفس إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت لى نفسى والله لابد لك من عيش ما بقيت فقمت إلى مسحاتى .

وقال الحسن : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلكم يحب أن يدخل الجنة ؟ . قالوا نعم يا رسول الله .

قال : قصروا من الأمل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء » .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : «اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع الآخرة . وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات . وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » .

وفى الآثار قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى أجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنئوا بعيش ، ولا قامت بينهم الأسواق .

وقال الحسن : السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بنى آدم . واولاهما ما مشى المسلمون فى الطرق .

وقال الثورى : بلغنى أن الإنسان خلق أحمق واولا ذلك لم يهنأه العيش.

وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن . إنما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها .

وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه : ثلاث أعجبنى حتى أضحكتنى : مؤمل الدنيا ، والموت يطلبه . وغافل وليس بغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط رب العالمين عليه أم راض . وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى فراق الأحبة محمد وحزبه ، وهول المطلع ، والوقوف بين يدى الله . ولا أدرى إلى الجنة يؤمر بى أم إلى النار .

وقال بعضهم : رأيت زرارة بن أبى أوفى بعد موته فى المنام فقلت: أى الأعمال أبلغ عندكم ؟ . قال : التوكل وقصر الأمل .

وقال الثورى : الزهد فى الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ . ولا لبس العباءة .

وسأل المفضل بن فضالة أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب . ثم دعا ربه فرد عليه الأمل . فرجع إلى الطعام والشراب .

وقيل للحسن : يا أبا سعيد ألاتغسل قميصك فقال الأمر أعجل من ذلك .

وقال الحسن : الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم .

وقال بعضهم : أنا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى تضرب عنقه .

وقال داود الطائى : لو أعلمت أن أعيش شهراً لرأيتنى قد أتيت عظيما وكيف أؤمل ذلك وأرى الفجائع تغشى الخلائق فى ساعات الليل والنهار .

وحكى أنه جاء شقيق البلخى إلى أستاذ له يقال له أبو هاشم الرومانى وفى طرف كسائه شىء مصرور فقال له أستاذه : إيش هذا معك ؟ فقال لوزات دفعها إلى أخ لى . وقال أحب أن تفطر عليها فقال ياشقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل : لاكلمتك أبداً فقال فأغلق فى وجهى الباب ودخل .

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبته : إن لكل سفر زاداً لا محالة فتزادوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم فإنه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لايصبح بعد مسائه ولايمسى بعد صباحه فربما كانت بين ذلك خطفات المنايا . وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً وإنما تقر عين من وثق بالنجاة

من عذاب الله تعالى وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يداوى كلما أصابه جرح جرح من ناحية أخرى فكيف يفرح أعوذ بالله من أن آمركم بمالا أنهى عنه نفسى فتخسر صفقتى وتظهر عيبتى وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقر والموازين فيه منصوبه لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة، وأنكم صائرون إلى إحداهما .

عندما تقترب الساعة

بعدما سمعنا إلى ما قاله الإمام الغزالى عن الموت وأهواله ومنازله وأحواله . اعلم وفقنى الله وإياك أن هناك أياماً تأتى على الناس يسندون فيها الأمور لغير الله وذلك لضعف وزاع الإيمان فى القلب يحبون المخلوق وينسون الخالق . . ويحبون المال وينسون الحساب ويحبون القصور وينسون القبور . ويحبون الذنوب وينسون التوبة . ومن هذه الشئون الخطيرة ما جاء فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الأرض الله الله . .

وفى رواية أخرى : لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله .

قال العلماء فى شرح هذا الحديث : إذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين . وانتزع هذا الاسم من ألسنة الجاحدين قال

وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله » .

وهنا يتبادر سؤال يقول : إذا كان ذلك كذلك فعلى من تقوم الساعة ؟ . وهنا يجيب الإمام مسلم فى حديث رواه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وهم شر من أهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء إلا رده عليهم . فدخل عقبة بن عامر فقيل له ألا تسمع ما يقول عبد الله . فقال عقبة هو أعلم أما أنا فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لاتزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله ظاهرين بعدوهم لا يغرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك . فقال عبد الله أجل . ثم يبعث الله تعالى ريحاً كريح المسك مسها كمس الحرير لا تترك أحداً فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان إلا قبضت روحه ثم تبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة . وعن عبد الله بن مسعود : لاتقوم الساعة إلا على شرار الناس . من لايعرف معروفاً ولا ينكر منكراً يتهارجون تهارج الحمر .

(وهذه العبارة كناية عن انتشار الخبائث الجنسية) .

من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

ونحن نجتاح هذه الأبواب الإسلامية يهمنا بالدرجة الأولى أن يقف المسلمون على تلك الوصايا التى وضحها لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنا أن نتمسك بها لا سيما إذا ما زحفت الفتن وأظلمت وأرعدت

وأصبحت الدنيا كصيب من السماء فى ظلمات ورعد وبرق فمن تلك الوصايا الكريمة ما ذكره الرسول لحذيفة فى هذا الحديث الجامع .

عن حذيفة رضى الله عنه قال : كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى فقلت، يارسول الله إنا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال : نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت ومادخنه قال قوم يهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر؟ قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرنى إن أدركنى ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . رواه الثلاثة .

وعن عبد الله رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لنا « إنكم سترون بعدى أثرة وأموراً تذكرونها قالوا فما تأمرنا يارسول الله قال : أدوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم ». قال الزبير بن عدى رضى الله شكونا إلى أنس بن مالك ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا الذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم .

وعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه » .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «كيف أنتم وأئمة من بعدى

يستأثرون بهذا الفيء . قلت أما والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى ثم اضرب به حتى ألقاك قال أولا أدلك على خير من ذلك تصبر حتى تلقانى » رواه أبو داود .

وخطب عمر رضى الله عنه بالجابية فقال : أيها الناس إنى قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال «أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد إلا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان . عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد . من أراد بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة . من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن » .

وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم أرأيت إن كان علينا امراء يمنعونا حقنا ويسألونا حقهم فقال « اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ماحملتم » . رواهما الترمذى .

متى ابتدأت الفتنة ومن أين تأتى

عن حذيفة رضى الله عنه قال : كنا عند عمر رضى الله عنه فقال : أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن فقال قوم نحن سمعناه فقال لعلكم تعنون فتنة الرجل فى أهله وجاره قالوا : أجل فإن تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة ، ولكن أيكم سمع التى تموج موج البحر قال حذيفة فأمسكت القوم فقلت أنا قال أنت لله أبوك قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تعرض الفتن على القلوب كالحصير

عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب انكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه » . قال حذيفة : وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر قال عمر اكسرا لا أبا لك فلو أنه فتح لعله كان يعاد قلت لابل يكسر . «وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثا ليس بالأغاليظ » أى حدثته حديثا حقاً لا غلط فيه أن ذلك الباب الذى بينكم وبين الفتن رجل يقتل أو يموت وهو عمر رضى الله عنه ، الذى انكسر بموته باب الفتن وتولى عثمان رضى الله عنه ، فابتدأت وعظمت واشتعلت نارها بموته وهكذا ستبقى مرة بالحسام ومرة بالكلام مادامت الدنيا . قال الله تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) . رواه الشيخان والترمذى .

التحذير من الخوارج والمارقة من الدين

عن أبى سعيد رضى الله عنه قال بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن بذهبة لم تحصل من ترابها فى أديم مقروظ فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر والأقرع ابن حابس وزيد الخيل وعلقمة بن علاثة فقال رجل من أصحابه : كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء يأتينى خبر السماء صباحاً ومساء فقال رجل غائر

العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الأزار فقال : يارسول الله اتق الله فقال : ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله قال ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال لا لعله أن يكون يصلى قال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ماليس فى قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر إليه وهو مقف فقال إنه يخرج من ضئضىء هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية . قال أظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود .

وعنه قال : بعث على وهو باليمن بذهبة فى تربتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها بين أربعة عيينه والأقرع وزيد الخير وعلقمة فغضبت قريش فقالوا : أيعطى صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى إنما فعلت ذلك لأتألفهم فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتىء الجبين محلوق الرأس فقال اتق الله يا محمد فقال النبى صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله إن عصيته أيأمننى على أهل الأرض ولا تأمنونى ثم أدبر الرجل فاستأذن أحد القوم فى قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من ضئضى هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد . رواهما الشيخان والترمذى .

وعنه قال : بينا نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بنى تميم فقال يا رسول الله إعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك ومن يعدل إن لم اعدل قد خبت وخسرت إن لم أعدل فقال ، عمر بن الخطاب يارسول الله ائذن لى فيه أضرب عنقه قال دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه فلايوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أم مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد فأشهد أنى سمعت هذا من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علياً رضى الله عنه قاتلهم وأنا معه فأمر بهذا الرجل فالتمس فأتى به فنظرت إليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نعت . رواه الشيخان والترمذى .

نبذة عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما وقد فرغنا من الحديث عن الفتن التى تموج موج البحر فإنه مما يثلج الصدور بمعرفة الله ويهذب النفوس بالخوف من عذابه ويرقق الأفئدة بالذكرى والذكرى تنفع المؤمنين فقد رأينا أن نختم هذا الكتاب بذكرى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يرويها لنا حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى كتابه الاحياء .

قال رضى الله عنه :

اعلم أن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حياً وميتاً فعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين وتبصرة للمستبصرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته . وهل أخره لحظة بعد حضور منيته ؟ لا . بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق فى جوار الرحمن فاشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعاً عنه مقدوراً وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيراً وهل سامحه إذ كان للحق نصيراً . وللخلق بشيراً ونذيراً ؟ هيهات بل امتثل ما كان به مأموراً واتبع ما وجده فى اللوح مسطوراً . فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض . فالعجب أنا لانعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه . بل نحن أسراء الشهوات . وقرناء المعاصى والسيئات فما بالنا لا نتعظ بموت محمد صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين وإمام المتقين وحبيب رب العالمين لعلنا نظن أننا مخلدون أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون . هيهات هيهات . بل نتيقن أنا جميعاً على النار واردون ثم لاينجو منها إلا المتقون .

فنحن للورود مستيقنون وللصدود عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين فما نحن والله من المتقين . وقد قال الله رب العالمين (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) فلينظر كل عبد إلى نفسه إنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين. فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين فقد كانوا مع ماوفقوا له من الخائفين ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين إذ كان سيد النبيين وقائد المتقين . واعتبر كيف كان كربه عندفراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى . قال ابن مسعود رضى الله عنه : دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال : «مرحباً بكم حياكم الله . آواكم الله . نصركم الله ، وأوصيكم بتقوى الله ، وأوصى بكم الله إنى لكم منه نذير مبين ألا تعلو على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى فاقرأوا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله » .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم روى لجبريل عليه السلام عند موته «من لأمتى بعدى» فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبى أنى لاأخذله فى أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجاً من الأرض إذا بعثوا وسيدهم

إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عينى .

وقالت عائشة رضى الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار .

فقال : « أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لاتزيد على هيئتها التى هى عليها اليوم وإن الأنصار عيبتى التى آويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم . ثم قال إن عبداً خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله . فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبى صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع فى المسجد إلا باب أبى بكر . فإنى لا أعلم أمراً أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر . قالت عائشة رضى الله عنها فقبض صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت فدخل على أخى عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك ؟ . فأومأ برأسه أن نعم فناولته إياه فأدخله فى فيه فاشتد عليه فقلت ألينه لك فأومأ برأسه أن نعم فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول : الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى فقلت إذن والله لا يختارنا .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه ، قال : لما رأيت الأنصار

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقـــلا . أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضى الله عنه على النبى صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثله فمد يده وقال ها فتناولوه فقال : ماتقولون ؟ قالوا : نقول : نخشى أن تموت وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم فثار رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج متوكئاً على على والفضل والعباس وأمامة ورسول الله صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس أنه بلغنى أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ؟ ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم هل خلد نبى قبلى فيمن بعث فأخلد فيكم إلا إنى لاحق بربى وأنكم لاحقون به وإنى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصى المهاجرين فيما بينهم فإن الله عزوجل قال : (والعصر . إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وإن الأمور تجرى بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لايعجل لعجلة أحد . ومن غالب الله غلبه ومن خدع الله خدعه فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيراً . فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم . ألم يشاطروكم الثمار . ألم يوسعوا عليكم فى الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة إلافمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم .

وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى . ألا وإن موعدكم الحوض حوضى أعرض مابين بصرى الشام وصنعاء واليمن يصب فيه ميذاب الكوثر ماء أشد بياضاً من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبداً حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه فى الموقف غداً حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده على غداً فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغى . فقال العباسى : يانبى الله أوصى بقريش فقال : إنما أوصى بهذا الأمر قريشاً والناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم لفاجرهم فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فإذا بر الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى (وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) .

روى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر رضى الله عنه سل يا أبا بكر فقال : يارسول الله دنا الأجل فقال قد دنا الأجل وتدلى . فقال ليهنك يانبى الله ما عند الله فليت شعرى عن منقلبنا فقال إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنى . فقال يا نبى الله من يلى غسلك ؟ قال رجال من أهل بيتى الأونى فالأونى قال : ففيم نكفنك ؟ فقال فى ثيابى هذه وفى حلة يمانية وفى بياض مصر . فقال : كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكينا وبكى ثم قال مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً إذا غسلتمونى وكفنتمونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على الله عز وجل

(هو الذى يصلى عليكم وملائكته) ثم يؤذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فادخلوا على أفواجاً وصلوا على أفواجاً زمرة زمرة . ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك القبر قال زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى .

وقال عبد الله بن زمعة جاء بلال فى أول شهر ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مروا أبابكر يصلى بالناس» فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلاعمر فى رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت: قم ياعمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر وكان رجلا صيتا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال أين أبوبكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون قالها ثلاث مرات مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله عنها يارسول الله إن أبابكر رجل رقيق القلب إذا قام فى مقامك غلبه البكاء فقال صلى الله عليه وسلم : إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فصلى أبوبكر بعد الصلاة التى صلى عمر فكان عمر يقول لعبدالله بن زمعة بعد ذلك ويحك ماذا صنعت . بى والله لولا أنى ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك مافعلت . فيقول عبد الله إنى لم أر أحداً أولى بذلك منك . قالت عائشة رضى الله عنها وماقلت ذاك وماصرفته عن أبى بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما فى الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من

سلم الله وخشيت أيضاً أن لايكون الناس يحبون رجلا صلى فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم وهو حى أبدا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فإذن الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل مانخوفت عليه من أمر الدنيا والدين . وقالت عائشة رضى الله عنها فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة فى أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين وأخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنساء فبنا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجن عنى هذا الملك يستأذن على » فخرج من فى البيت غيرى ورأسه فى حجرى فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم إنه دعانى فأعاد ورأسه فى حجرى وقال للنسوة أدخلن . فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال صلى الله عليه وسلم أجل ياعائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى ألا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك ؟ فقلت أكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل . فقالت عائشة رضى الله عنها فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما تحير إليه شيئاً وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل فى ساعته فسلم فعرفت حسه خرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذى تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً

وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك فقال أجدنى وجعاً . فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك . فقال يا جبريل إن ملك الموت استأذن على وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذى يريدك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبداً إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق . قال فلا تبرح إذن حتى يجىء وائذن للنساء فقال يا فاطمة أدنى فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطق الكلام ثم قال : أدنى منى رأسك فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك وما تطق الكلام فكان الذى رأينا منها عجباً فسألتها بعد ذلك فقالت : أخبرنى وقال إنى ميت اليوم فبكيت ثم قال إنى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما قالت: وجاء ملك الموت فسلم واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد ؟ قال ألحقنى بربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهنى عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج . قالت وجاء جبريل فقال : السلام عليك يارسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا طوى الوحى وطويت الدنيا وما كان لى فى الأرض حاجة غيرك . ومالى فيه حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقى لا والذى بعث محمداً بالحق مافى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كله ولا يبعث لأحد من رجاله لعظم ما يسمع حديثك ووجدنا وأشفاقنا قالت فقمت إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أضع رأسه على صدرى وأمسكت بصدره وجعل

يغمى عليه حتى يغلب وجهته ترشح رشحاً وما وجدت رائحة أطيب من عرقه صلى الله عليه وسلم ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يجيء أحد وإنما صدهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغمى عليه قال بل الرفيق الأعلى كأن الخيرة تعاد عليه فإذا أطاق الكلام قال : الصلاة الصلاة إنكم لاتزالون متماسكين ماصليتم جميعاً الصلاة الصلاة وكان يوصى بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة .

وهكذا نظر الرسول صلى الله عليه وسلم من وراء الحجب ليرى ما عليه المسلمون اليوم من التفريط فى أداء الصلوات فجزاك الله عنا يا رسول الله خير ما جزى به نبياً عن أمته ورسولا عن قومه والحمد لله أولا وأخيراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . .

المؤلف
عبد الحميد كشك

حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لأنه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التى تصلنا من مختلف أنحاء العالم الاسلامى والتى تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور :

- عبد الحميد عبد العزيز محمد كشك .
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٣٣ .
- التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه القرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره .
- التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، أنعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الأول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع مائة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨ر٥٪ .
- التحق بكلية أصول الدين ، حيث حصل على الشهادة العالمية، وكان ترتيبه الأول ، ومثل الأزهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ .
- حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .
- عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الأوقاف .
- خطيب وامام مسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤

والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحياة بشارع مصر والسودان بالقاهرة .

الناشر

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
مقـــــدمة	٥
بين يدى الساعة	٧
كيف يموت جبريل	١٠
كيف يموت ميكائيل	١١
كيف يموت ملك الموت	١٢
الفتن والملاحم واشراط الساعة	١٣
هل يجوز ان يدعو الانسان على نفسه بالموت	٢٥
أمور تكون بين يدى الساعة	٣١
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن الساعة	٣٥
امارات اخرى فى حديث جامع	٣٧
الآيات العشر التى تكون قبيل الساعة	٤٣
كلمة عن المسيخ الدجال	٤٥
نزول السيد المسيح عيسى عليه السلام	٥٥
نبذة عن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم	٨٤

رقم الايداع ٣٨١١ / ١٩٨٠

الترقيم الدولى ٤ـ١٧ـ٧٣٢٣ـ٩٧٧ ISBN